# الأدب المصرى

## عنوان النهضة الحديثة

### لحضرة الأديب الفاضل صاحب التوقيع

قرأت باهتمام و إعجاب مقالة الأديب المجدد الاستاذ على محمد البحراوى عن «الأدب السورى» المنشورة فى العدد الفائت من ( العصور ) الغراء . والحق يقال إن هذا المقال النقدى الذى يمتاز بالصراحة والاخلاص والتفكير المستقل قد أثار اهتماما جديا فى دوائر أدبية كثيرة — شأن مايكتبه الأستاذ البحراوى بأسلوبه المنصف الجرىء . ولا أدل على ذلك من تناقل آرائه وترديدها ، وبين من عنوا بتعزيزها الكاتب المعروف الاستاذ محمد لطفى جمعة المحامى حيث ذكر فى ( البلاغ الأسبوعى ) مانصه حرفيا : « مصر مخورة بأدبها الحديث . والأدب كلمة جامعة شاملة . والأدب المصرى يكاد يكون الأدب العربى . ومصر أصبحت وارثة للأمم العربية وكل أديب عربى فى الشام أو فى العراق أو المغرب تمصر قبل أن يظهر أدبه » . ولا غرابة فى هذا التعليق من لطفى بك جمعة فقد خبر مغزاه فى نواح شتى خبرة شخصية . ولعل أظهر تجاربه اشتراكه مع الأستاذ محمد كرد على ( رئيس معارف سورية الآن ورئيس المجمع العلمى العربى فى دمشق ) والاستاذ عبد القادر المغربى ( أحد أعضاء المجمع المذكور ) فى تحرير جريدة ( الظاهر ) منذ عشرين سنة خلت .

والذى فهمته من مقال الاستاذ البحراوى أنه يرمى به إلى أغراض ثلاثة : (١) تأريخ النهضة الأدبية المصرية تأريخا صحيحا وردها إلى أصولها الحقة . ( ٢ ) العتب على المجاملين من كتابنا المصريين أمثال أستاذنا عبد الحميد افندى سالم ( رضى الله عنه ) الذين يحلو لهم انتقاص الأدب المصرى وتقديم الأدب السورى عليه فى غير حق بدافع الصداقات الشخصية ونحوها . (٣) حث النابغين من الأدباء السوريين على الاعتراف من الأدب الانجلوسكسونى بدل التهالك على الأدب الفرنسى الحديث الذى كاد يفسد عليهم نهضتهم الأدبية .

(١) فأما عن غرضه الأول فلا مشاحة فى أن النهضة الأدبية المصرية هى التى ألهمت سواها من النهضات فى الأقطار العربية الأخرى منذ عهد محمد على

وكانت وما زالت مصر (خصوصا من عهد اسماعيل) مبعث الايحاء وسر النهوض ومركز الزعامة الفكرية للعالم العربي . ولكن امتاز السوريون من بين الأمم العربية بالنشاط التجاري و بنظراتهم المادية الى كل شيء يتناولونه .وعرف عن المصريين كرم الوفادة والايثار بدل الاثرة . وهكذا شجعوا الغريب كعادتهم و تخلوا غالبا عن أبناء جلدتهم حينما هم منارة التعليم لاولئك الغرباء، وهكذا انعكست الآية وأصبحنا نحفل بأدب الاجانب وننسى حتى فضل اساتذتهم من رجالنا نحن !! وقد اشتهرت مصر بالأعلام من رجال اللغة والنقد والأدب والتاريخ والشعر والنثر من قديم الزمان حتى في عهود الجهالة المظلمة . ولكنهم غرباء في بلادهم يتهافت على علمهم وأدبهم الأجانب و ينوهون بهم ايما تنويه حينما نجازيهم نحن بالتناسي والنسيان ، وأحيانا بالاصغار من فضلهم . بجارة للدعاة من الغرباء الذين يطيب لهم أن يسيطروا علينا أدبياً ،كما حاولوا أن يسيطروا علينا اقتصادياً وسياسياً . . والا فأين من يذكر الآثار الجليلة لأمثال ابراهيم النبرواوي وأحمد حسن الرشيدي ومحمد علي باشا البقلي ومحمد بك الشافعي ومحمد عبد الفتاح وعلي بك هيبة وحسن بك عبد الرحمن واحمد بك ندى وحسين بك عوف الكحال وسالم باشا سالم ومحمد باشا الدرى ومحمد بك بدر وحسن باشا محمد ومحمد عمران الهراوي ومصطفى حسن كساب وابراهيم النسوقي ومحمد يومى وابراهيم رمضان ومحمود باشا الفلكي وشفيق بك منصور يكن ومختار باشا المصري واسماعيل باشا الفلكي والسيد صالح مجدي بك وعيسى باشا حمدي وعثمان باشا غالب واسماعيل باشا حسنين والسيد اسماعيل الخشاب المصري والسيد محمد المهدي. المصري والسيد علي الدرويش المصري والشيخ شهاب الدين المصري وابراهيم بك مرزوق المصري وعلي ابو النصر المنفلوطي ومحمود صفوت الساعاتي وعبد الله باشا فكري والشيخ علي الليثي وعبد الله نديم وعثمان بك جلال ومحمود باشا سامي البارودي ومصطفى بك نجيب واسماعيل باشا صبري والشيخ محمد النسوقي والياس بقطر وعائشة تيمور والشيخ حسن العطار وابو الوفاء نصر الهوريني المصري وعبد الهادي نجا الابياري وأمينة نجيب وملك ناصف والشيخ حسين المرصفي ومحمد بك النجاري المصري واحمد باشا كمال والشيخ عبد الله ابو السعود وابراهيم بك المويلحي والشيخ حمزة فتح الله والشيخ عبد الله الشرقاوي وعلي باشا مبارك وأمين باشا فكري ورفاعة بك الطهطاوي وابراهيم الباجوري

وقدري باشا ومحمد العباسي المهدي وعمر بك لطفي وعشرات غيرهم من الاساتذة الاعلام في جميع فنون اللغة والأدب — أولئك الذين طالموا كانوا سراجا وهاجا للمفكرين التابعين لهم في الأمم العربية الاخرى ، فاذا بنا ننسى مصدر النور ونحفل بالمرائي وحدها ، وإذا بنا نجاري الغرباء الذين يعكسون الحقائق خدمة لصوالحهم الذاتية ! ! .

ولكن منذ أن انتبه نوابغنا الى واجب الاقدام التجاوزي ولم يقتصروا على جانب النبوغ الفكري والانتاج الأدبي القوي فقط سارت مصر خطوات واسعة الى الأمام بفضل غيرة أبنائها وأصبحوا قادتها المطلقين بغير أدنى معونة خارجية . ويحق لمصر الآن على الأخص أن تفخر بصحافتها المصرية الصميمة التي هي القدوة العالية لغيرها ، كالسياسة ، و « البلاغ » و« العصور » وسواها . ولا يفوتني أن أشير في هذا المقام الى أن الصحف السورية أصبحت تعتمد في حياتها على أقلام نوابغ المصريين قبل غيرهم . وحسبك منزلة الاستاذ سلامه موسى في دار « الهلال » . كما لا يفوتني أن أشير إلى تقدير الصحف الاجنبية وتقدير المستشرقين الى المجهود المصري العظيم في الطب والأدب والفنون والصحافة : وآخر ما بين يدي من كتابة وتقدير من هذا القبيل ما نشرته صحيفة ( الايجبشيان مبل ) الانجليزية بعددها المؤرخ ٢٨ مارس سنة ١٩٢٩ من تقدير بليغ لمجلة « العصور » بقلم المستشرق اليوناني المعروف الاستاذ سقراط سيروبك .

(٢) وأما عن الغرض الثاني من مقالة الاستاذ البحراوي وهو العتب على أولئك المجاملين الذين لا يزنون أقوالهم فيرسلون أحكامهم جزافا مجاملة للأدب السوري أو لغيره ، ( وهم بذلك يسيئون اساءة مزدوجة الى من يتملقونهم أو يجاملونهم والى أبناء وطنهم معاً ) : فهو غرض نبيل لأن الاحكام الأدبية يجب أن تكون بريئة من الهوى ومن العصبية . فما بالك بها اذا أفسدها الغرض وتعددت نتائجها السيئة ! وما من شك في أن لمصر الآن القيادة في العلوم والآداب والفنون بين أمم العالم العربي جمعاء وانا الآن في عهد رينانسنس أو بعث فكري عجيب كما يقول الاستاذ اسماعيل بك مظهر ، فمن الحق علينا لأنفسنا ولغيرنا أن نعرف مكانتنا بالضبط وأن نحدد نفوذنا ، وبذلك لا تعوقنا الاوهام والنعايات عن التقدم المستمر الذي نخدم من ورائه العالم العربي بأسره كما نخدم الثقافة المصرية . وهيهات أن تجد أديباً سوريا ممتازاً إلا وقد تمصر في الغالب كسليمان البستاني ونجيب الحداد وخليل مطران وايليا أبي ماضي وغيرهم ، ولولا أن أبا ماضي قد تأثر بالبيئة المصرية زمنا لما صفت ديباجته على ما نرى ولما سلست تعابيره ،

بخلاف كثيرين غيره من الشعراء السوريين المتفككة تعابيرهم حتى لاتدري أتصفها بالاسترخاء كما قال الاستاذ البحراوى : أم تصفها بالجمود على ماأرى . . . . ومن طبيعة الحياة المصرية كيفما كانت ( ومنها الحياة الأدبية ) منذ أقدم أزمنة التاريخ أنها تهضم غيرها، ولا تهضم فى سواها بمعنى فقدان شخصيتها ، وأنها فى الوقت ذاته تشع على الحيوات الأخرى فتتأثر هذه بها تأثراً عميقا . فكأن مصر أم الحضارة الانسانية خلقتها الطبيعة خلقا يجعلها دائما ملتقى الاشعة ثم مصدر القوة المنبهة لغيرها الباعثة الحياة فى كل ماجاورها .

(٣) وأما الغرض الثالث من مقال الأستاذ البحراوى فلا يقل نبلا عن سابقيه ولا غرابة فى اهتمام الأستاذ البحراوى به ، فالأدب السورى كالأدب المصرى وكالأدب العراقى قسم من الأدب العربى العام وتهمنا جميعا نهضته الرشيدة . وللاستاذ البحراوى كثيرون من الأصدقاء المعجبين بأدبه وإخلاصه من بين السوريين الذين يفهمون أن صديق الانسان من اخلص له النصح لا من جاراه تصديقا . ولديه أقوى معزز على ماذهب اليه فى أدب أبى ماضى المتأثر بالذوق المصرى وبالأدب الانجلوسكسونى ، وهذا جاء إنتاجه الشعرى أنضج وأصلح ماعرف عن الأدب السورى فى هذا العصر ، ولا استثنى إلا خليل بك مطران ، وهو أيضا متأثر بالأدب الانجلوسكسونى وإن كان قد تأثر زمنا بالأدب اللاتينى . ومعاذ الله أن يقول أى انسان مطلع له مسكة من العقل إن الأدب الفرنسى مثلا لاقيمة له . ولكن لاشك فى أنه الآن أحط مستوى من الأدب الانجليزى أو الامريكى ، فلامعنى لمجاراته بدل الالتفات إلى الغرب القصى الذى بلغ فيه الأدب الحى رجولته ونضوجه الأتم . فدعوة الاستاذ البحراوى إلى أصدقائه السوريين النابغين للأخذ بيد أدبهم القومى فى هذه الصراحة الجريئة مما نسجله له بالشكر والاعجاب ، ومما نعتبره دليلا حقا على ولائه وعلى فهمه معنى الاخاء الأدبى فهما صحيحا لايشوبه الرياء المألوف والمجاملات الفارغة . ومثل هذا الشكر جديرة به مجلة ( العصور ) الغراء لافساحها صدرها للنقد الحر المفيد ؟